المناظرة العجيبة

وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة ملكهم

جمعها ونسّقها
محمد بن عبد العزيز الخضيري

دار الوطن للنشر

المناظرة العجيبة

وقائع مناظرة الإمام الباقلاني للنصارى بحضرة مَلِكِهم

جمعها ونسَّقها

محمد بن عبد العزيز الخضيري

دار الوطن للنشر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

دار الوطن للنشر - الرياض

هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس ٤٧٢٣٩٤١ - ص ب: ٣٣١٠

- **البريد الالكتروني:** pop@dar-alwatan.com
- **موقعنا على الانترنت:** www.dar-alwatan.com
- **التوزيع بجمهورية مصر العربية ت: ٠١٠١٤٦٠٨٦١ محمول**

وردت هذه القصة أيضاً في تاريخ بغداد
(5/ 379 - 380)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فقد كانت سرعةُ البَديهة، وحضورُ الجواب، وحِدّةُ الذكاء، وجودةُ الخاطر، من أهم المواصفات التي تميز بها الباقلاني واشتهر، حتى أطبقت كتب الطبقات والتراجم على وصفه بذلك، وذكر ما يدلُّ عليه من المحاورات والمناظرات، والأجوبة والفتاوى والمؤلفات.

وقَمِنٌ بمن كان هذا نعته أن يتبوأ صدارة مجالسِ المناظرات التي تعقدُ بين الفرق، وخصوصاً ما كان يقع

منها بين الأشاعرة ـ وهو أحد كبار مُنَظِّري مذهبهم ـ والمعتزلة، وكانت له الغلبة عليهم في معظم منازلاته.

ولذا اتَّصَلَ بعَضُدِ الدولة البُوَيْهي خبره، فقرّبه، وسُرَّ به، ولما رأى ما هو عليه رشّحه لأن يكون رسوله إلى ملك الروم في قضية تتصل بالسياسة الخارجية للدولة الإسلامية، تحتاج إلى رجل جامع بين سعة العِلم وحدة الذكاء ـ سيأتي تفصيل خبرها. وقَبِلَ الباقلاني التكليفَ، وتوجَّه إلى ملكِ الرُّوم، وجرت له معهم مناظراتٌ ومُقَاوَلات في مجالس عدَّة، أظهره الله فيها عليهم، وأظهر لهم عَوَارَ ما هم فيه، وتَهَافُتَه، وفسادَه وتناقُضَه، وأجاب عنْ شُبُهَاتهم، وكَشَفَ تَلْبيساتهم، فأبانْ لهم المحجة، بعد إيضاح الحُجّة، وبلغ الأمر بعلمائهم أن خافوا إن بقي بين ظَهْرَانَيْهم مدةً أن لا يبقى على دين النصرانية أحدٌ لعظيمِ ما لاقوه منه وما استقبلهم به.

وسَرَى بين الناس خَبَرُ هذه المناظرة العظيمة، التي

أظهر الله فيها دينه على الدين كلِّه، وتناقلوا مقاطع من وقائعها، ولكنها فيما أعلم لم تدوَّن كاملة، بل روى بعض المترجمين للباقلاني، وقلة من المؤرخين لتلك الحقبة، وبعضُ الكاتبين في المناظرات، رَوَوا أجزاءً مفرقةً من أخبار تلك المناظرة، كلٌّ يذكرها ويُطْريها، ويُدَوِّن ما اتصل بعلمه منها.

وكنت أقرأ تلك المقاطع المبعثرة، فأَعْجَبُ منها، ويسلبني ما أُوْدع فيها من آيات الذكاء والفِطنة، وتسبيني مواقفُ هذا العالم من مناظريه التي حُلِّيت بالعِزَّة، وجُلِّيَتْ بالعلم، وزُيِّنَت بالحكمة، وأُحْكِمت بحضور البديهة، فلله دَرُّه. وعزّ عليَّ بقاؤها حبيسةً مبعثرة، لا علم لكثير من الناس بها، وتَمَنَّيْتُ أن لو ظَفِرْتُ بها كاملةً غير منقوصة، وبدأت لذلك أبحث عنها في بطون كتب الطبقات والمناظرات فلم أعثر ـ مع طول البحث ـ على مَن دونها كاملة، وإنما الذي اطلعتُ عليه تلك القِطَع المتناثرة،

ووجدتُ أحسن الناس استقصاء لها القاضي عياضاً في كتابه «**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**»، ثم يليه السكوني في «**عيون المناظرات**» وغيرهما ذكر واقعة أو اثنتين، وقليل منهم من ثلّث، كابن الأثير في «**الكامل**»، وابن عساكر في «**تبيين كذب المفتري**»، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»، وابن الجوزي في «**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**»، والذهبي في «**سير أعلام النبلاء**»، وابن كثير في «**البداية والنهاية**».

فجمعتُ ما ذكَره كلٌّ منهم، فما رواه اثنان فأكثر أَثْبَتُّ أَتَمّهُ وأحسنه، وإن كان ثَمَّةَ فرقٌ مهم علقتهُ في الحاشية، وما تفرد به أحدهُمُ نقلتهُ منه بلا تصرُّف، فاجتمع لي بذلك شتاتُ ما تَفَرَّق، بَيْد أنه مشوَّش غير مُرتّب، فقمت بترتيب تلك المقاطع متحرياً الدقة والإصابة قَدْرَ الطاقةِ، ثم ذكرتُ في خاتمةِ كلٍّ قطعة منها من رواها، وعَلَّقْتُ على ما رأيته محتاجاً إلى التعليق، وسميتها «**المناظرة العجيبة**».

فانجلى بما تَقَدَّم ليلُ خبرها، وانْبَلَج صبحُ أمرها، واتضحت رسومها، وبَدَت أطلالُها، ورأيتُ أن تُخْرَجَ ليُنتفعَ بها، ويُوقَفَ على أحداثها، سائلاً أخاً اطلع على عيبٍ أو نقصٍ فيها أن يَصِلَني به ـ وصله الله بمنِّه وكرمه.

والله أسأل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لعباده المؤمنين إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وآله وصحبه.

مُحَمَّد بن عبد العزيز الخضيري
ص ب: ٣٩٨ الرياض ١١٣١٣

❊ ❊ ❊

ترجمة مختصرة للإمام الباقلاني[1]

(٣٣٨ـ٤٠٣)

※ هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد، المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني، قال ابن خلكان في نسبته: «هذه النسبة إلى الباقِلّى وبيعه، وفيه لغتان: من شدد اللام قصر الألف، ومن خففها مَدّ الألف، فقال: باقِلاَء، وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها، وهو نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء: صنعاني، وإلى بهراء: بهراني». ولد بالبصرة في العراق، وتلقى العلم على

(١) مصادر الترجمة: انظر: تبيين كذب المفتري ص٢١٧ ـ ٢١٨ط. دار الكتاب العربي، والمنتظم (٧/ ٢٥٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٧٠)، والكامل لابن الأثير ٢٤٢/٠، وترتيب المدارك (٧/ ٤٤ ـ ٦٨)، والديباج المذهب (٢/ ٢٢٨)، وفتاوى شيخ الإسلام (٥/ ٩٨ ـ ١٠١)، وشذرات الذهب (٣/ ١٦٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٠)، والأعلام (٦/ ١٦٧)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠)، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي ص١٩٦.

أعلامها الكبار، ثم رحل إلى بغداد، فأخذ الكثير عن علمائها.

* **واتصل بَعَضُدِ الدولةِ البُوَيْهي، فَعَظُمَتْ منزلتُه لديه، وولي له القضاء، وهو الذي بعثه إلى ملك الروم رسولاً ومناظراً، لما عرف عنه من الدهاء والذكاء والفطنة، وحدة الخاطر، وسعة العلم.**

* **قال ابن كثير**: «قيل: كان مالكياً، وقيل: كان شافعياً، وقيل: إنه كان يكتب على الفتاوى: كتبه محمد ابن الطيب الحنبلي، وهذا غريب جداً».

* **قال الخطيب**: «كان وِرْدُه في كل ليلة عشرين ترويحة، في الحَضَرِ والسَّفَر، فإذا فرغ منها كتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه، وكان يَذْكُرُ أن كَتْبَهُ بالمداد أسهلُ عليه من الكتب بالحبر، فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه في ليلته، وأمره بقراءته عليه، وأملى عليه الزيادات فيه».

* **وقال علي بن محمد الحربي المالكي**: «كان

القاضي يَهِمُّ بأن يختصر ما يصنفه، فلا يقدر على ذلك، لِسَعَةِ علمه، وكَثْرةِ حفظه، وما صَنَفَ أحدٌ خلافاً إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين، غير القاضي.

* **وقال أبو بكر الخوارزمي**: «كلُّ مصنِّف ببغداد إنما ينقل منْ كتب الناس سوى القاضي أبي بكر، فإنما صدره يحوي علمَه وعلمَ الناس».

* **وقال ابن الأهدل**: «كان ورعاً لم تُحفظ عنه زَلّة ولا نقيصَةٌ، وكان باطنهُ معموراً بالعبادة والديانة والصيانة».

* **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حقه بأنه**: «أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثلُه، لا قبله ولا بعدَه».

* **وقد نقل** شيخ الإسلام في الفتوى الحموية عن الباقلاني في كتابه (الإبانة) ما يدل على أنه على مذهب السلف في باب الأسماء والصفات، حيث قال: «وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني.. في كتابه (الإبانة) تصنيفَه: فإن قال قائل: فما الدليل على أن لله

وَجْهاً ويداً؟ قيل له: قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، فأثبت لنفسه وجهاً ويداً.

فإن قال: فهل تقولون: إنه في كل مكان؟

قيل له: معاذ الله، بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال أيضاً في هذا الكتاب: صفات ذاته التي لم يَزَلْ ولا يزال موصوفاً بها: هي الحياة، والعلم، والقُدْرَة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، والبقاء، والوجه، والعينان، واليدان، والغضب، والرضا». انتهى بتصرف.

ثم قال شيخ الإسلام بعده: «وليعلم السائل أن الغرض من هذا الجواب، ذكر ألفاظ بعض الأئمة الذين نَقَلوا مذهبَ السلف من هذا الباب، وليس كلُّ من ذكرنا شيئاً من قوله ـ من المتكلمين وغيرهم ـ يقولُ بجميع ما نقوله في هذا الباب وغيره، ولكن الحق يُقبل من كلام من تكلم

به».

* وقد كتب القاضي كتباً كثيرة منها:

١ ـ إعجاز القرآن، أول كتبه نشراً، وأعظمها ذكراً (مطبوع).

٢ ـ التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة (مطبوع).

٣ ـ الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والضلال.

٤ ـ رسالة الحرّة (مطبوع).

٥ ـ البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر ونيرنجيات (مطبوع).

٦ ـ الإنصاف.

وغيرها كثير.

* قال محمد كرد علي: «حُسِبت تواليف القاضي وإملاءاته، وقسمت على أيام عمره من مولده إلى موته، فَوُجِد أنه يقع لكل يومٍ منها عشر ورقات أو نحوها».

* وله أخبار كثيرة ونوادر ومواقف عجيبة ومناظرات

طويلة، دوّن كثيراً منها القاضي عياض في ترتيب المدارك.

* مات - رحمه الله - في خاتمة سنة ثلاث وأربعمائة، قال الذهبي: «وكانت جنازته مشهودة، وكان سيفاً على المعتزلة والرافضة والمشبهة. وغالب قواعده على السنة.. وكان أبو الفضل التميمي شيخ الحنابلة معظماً له، وذكر أنه ألّف سبعين ألف ورقة».

ورثاه بعضُهم بقوله:

انظر إلى جَبَلٍ تمشي الرجال به
وانظر إلى القبر ما يحوي من الصَّلَفِ
وانظر إلى صارم الإسلام مُنْغمداً
وانظر إِلَى دُرّة الإَسلام في الصَّدَفِ

* * *

ترجمة عضد الدولة البويهي[(١)]
(٣٢٤-٣٧٢)

* هو: فَنَّا خسرو، الملقب (عضد الدولة) ابنُ الحسنِ (ركنِ الدولة) ابن بويه الدَّيْلَمي، أبو شُجَاع، أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، في عهد الطائع لله الخليفةِ العباسي، الذي قال فيه السيوطي: «وهو الخليفة المُسْتَضْعَف، الذي لم تَضْعُف الخلافةُ في زمن أحد ما ضَعُفَتْ في زمنه، ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة»

تَوَلّى عضد الدولة ملك فارس ثم الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أول من خُطب له على المنابر بعد

(١) مصادر الترجمة: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٤٩)، وتاريخ الخلفاء ص٤٠٦ ـ ٤٠٨) والبداية والنهاية (١١/ ٣٠٠)، والأعلام (٥/ ١٥٦)، والكامل لابن الأثير (٩/ ١٨ ـ ٢٢).

الخليفة. وأول من لقب في الإسلام (شاهنشاه)، كان شديدَ الهيبة، جباراً، عسوفاً، أديباً، عالماً، ينظم الشعر.

※ **قال الذهبي**: «كان شيعياً جلداً، أظهر بالنجف قبراً، زعم أنه قبرُ الإمام عليٍ، وبنى عليه المشهد، وأقام شعارَ الرَّفْض، ومأتم عاشُوراء، والاعتزال.. وكان يقول الشعر، فقال أبياتاً كفرية:

ليس شُرْبُ الراحِ إلا في المطر
وغِنَاءٌ مَن جوارٍ في السَّحر
مُبْرِزَاتِ الكأسِ من مطلعها
ساقياتِ الرَّاح مَنْ فَاقَ البَشَر
عُضَدَ الدولة وابنَ ركنها
ملكَ الأملاك غلاَّبَ القدر

※ **قال ابن كثير**: «قبحه الله، وقبح شعره، وقبح أولاده، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها».

قيل: إنه لما حضرته الوفاة لم ينطلق لسانه إلا بتلاوة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَه هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]،

وأخباره كثيرة جداً يطول ذكرها.

❊ توفي ببغداد، وحمل في تابوت، فدفن في مشهد النجف. وكانت ولايته خمس سنين ونصفاً، **قال الذهبي في نهاية ترجمته**: «لقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاءٌ شديدٌ بالدولة العُبَيْدية بالمغرب، وبالدولة البُوَيْهيّة بالمشرق، وبالأعرابِ القَرَامطة، فالأمر لله تعالى».

❊ **وقال في موطن آخر**(١): «وضاعَ أَمْرُ الإسلام بدولة بني بُوَيْه، وبني عُبَيْد الرافضة، وتركوا الجهاد، وهاجت نصارى الروم، وأخذوا المدائن، وقَتَلُوا وسَلَبُوا».

❊ ❊ ❊

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣٢).

سبب المناظرة

* كان سبب رحلةِ الباقلاني إلى الروم، أنه لما مات أرمانوس ملك الروم، وخلف ولديه: باسيل، وقسطنطين، طمع بعض قواده في ملكه، وكان من هؤلاء الطامعين السقلاروس، المعروف بـ«ورد الرومي» الذي أعلن الحرب عليهما، لكنهما هزماه، فالتجأ إلى عضد الدولة يستحميه ويستنصره، وعلم الأخوان بذلك، فأرسلا من قبلهما رسولاً يسمى (نقفور) إلى عضد الدولة، ليفسد على وردٍ خطته، وليعرض على الملك أن يسلم إليهما ورداً في نظير إطلاق سراح جميع أسرى المسلمين في بلاد الروم.

فمال عضد الدولة إلى ذلك، ولكنه لم يُسَلِّم إليهما ورداً، وإنما احتال في قبضه وتأمينه، ووعدَ (نقفور)

رسولَ الملكين خيراً، وأخرج معه الباقلاني بجوابِ الرسالة، وكان الباقلاني حَظِيّاً مقرباً لدى عضد الدولة، مع ما اجتمع فيه من صفات الذكاء والدهاء، وسَعَةَ العلم، وحضور البديهة، فأراد عضد الدولة أن تكون هذه الرسالة السياسية مدعومة برسالة دينية، يتولاها القاضي، حتى يُنَاظِرَ النصارى، ويُطلعهم على خلل دينهم، وضَعْفِ حُجَّتهم، واضطراب عقيدتهم.

* وفعلاً ذهب القاضي وجرت له أخبار طريفة ومناظرات عجيبة، ظهر فيها القاضي ـ فضلاً من الله ـ بقوة حجته على ملك النصارى وقُسُسِهم، ثم رجع إلى عضد الدولة بمشروع معاهدة مع النصارى ليُمْضِيَ عليها، ولكن بدا لعضد الدولة أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون، فأعاد الرسالة مع أبي إسحاق بن شهرام، ورجع ابن شهرام بمشروع المعاهدة الأخيرة، وصادف اشتدادَ العِلة على عَضُدِ الدولة وموته في ٨/ ١٠/ ٣٧٢

ووقع المعاهدةَ ابنُه صَمْصَام الدولة[١].

* * *

(١) تفاصيل ما جرى بين عضد الدولة والروم ذكره ابن الأثير في الكامل (٨/ ٧٠٣) وما بعدها (طبعة دار صادر). وهذا الموجز لما حدث مقتبس من مقدمة تحقيق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني بقلم أحمد صقر.

المناظرة

* وجَّه عضدُ الدولة إلى ملك الروم القاضي أبا بكرٍ الباقلاني، وخصه بذلك ليظهر رفعةَ الإسلام، وقوة مَحَجَّةِ هذا الدين، وسطوع حُجَّتِه، وليبين الخَلَلَ في دين النصارى، وليظهرَ التناقُض في عقيدتهم، مع ما أسلفناه من القيام بإجراء المعاهدة معهم. فلما تهيّأ القاضي للخروج، قال له وزير عضد الدولة أبو القاسم المُطَهِّر ابن عبدالله(١): قد أخذتُ الطالعَ لخروجك، أي سألتُ المُنَجِّمين عن رحلتك هذه، أهي ميمونة أم مشؤومة؟

فبين له القاضي ـ رحمه الله ـ فساد هذا الأمر، وأن الإسلام براء من التنجيم وأهلِه، وأن الخيرَ والشرَّ بتقدير الله، لا تَعَلُّقَ لها بالنجوم، وأن عِلْمَ ما في الغيب خاص

(١) هو: أبو القاسم المطهر بن محمد بن عبدالله، وزر لعضد الدولة، وقاد كثيراً من جيوشه، وله أخبار ذكرها ابن الأثير في ولاية عضد الدولة في المجلد الثامن ص٦٤٦، ٦٤٧، وقصة موته غريبة ذكرها في ص٧٠١.

بالله، **لا يطلع عليه إلا من أذن الله له بالاطلاع عليه** ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وإنما وُضعت كتب النجوم ليتعيش بها الجاهلون بين العامة.

فقال الوزير: أحضروا لي ابن الصوفي[١]، وكان يُقَدَّم في هذا الباب، فلما حضر دعاه الوزير إلى مناظرة القاضي؛ لتصحيح ما أبطله من علمه.

فقال ابن الصوفي: ليست المناظرة وشأني، ولا أنا قائم بها، وإنما أحفظ من علوم النجوم، وأقول: إذا كان من النجوم كذا كان كذا، وأما تعليله فهو من علم أهل المنطق وأهل الكلام، والذي يتولى المناظرة عند ذلك: أبو سليمان المنطقي.

(١) أبو الحُسين عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي، عالم بالفلك، من أهل الري، اتصل بعَضُدِ الدولة فكان منجِّمه، توفي عام (٣٧٦). الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٩).

فأُحْضِر أبو سليمان[١] وأُمر بمكالمة الباقلاني، **فقال له أبوسليمان**: هذا القاضي يقول إن البارئ ـ سبحانه ـ قادر على أنه إذا ركَب عشرة أنفسٍ في ذلك المركب الذي في دجلة، فإذا وصلوا إلى الجانب الآخر يكون الله زاد فيهم آخر، فيكونون أحد عشر، ويكون الحادي عشر قد خَلَقه الله في ذلك الوقت، ولو قلت أنا: إنه لا يقدر على ذلك، وهذا محالٌ، قطعوا لساني وقتلوني، وإن أحسنوا إليّ كتفوني ورموني في الدجلة، وإذا كان الأمر كما ذكرت لم يكن لمناظرتي معه معنى، فالتفت الوزيرُ إلى القاضي وقال: ما تقول أيها القاضي؟

فقلت: ليس كلامنا في قدرة الباري ـ تعالى ـ فإنه قادر على كل شيء ـ وإن جَحَده هذا الجاحد ـ وإنما كلامنا في

---

(١) محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني (٣٨٠)، عالم بالمنطق، سكن بغداد، وكان عضد الدولة يكرمه ويفخمه، له تصانيف منها: صوان الحكمة، وشرح كتاب أرسطو، ورسالة في مراتب قوى الإنسان، وأخرى في المحرك الأول، وغيرها. الأعلام للزركلي (٦/ ١٧١).

تأثيرات هذه الكواكب، فانتقل إلى ما ذكره لعجزه وقلّةِ معرفته، وإلا فأي تعلق للكلام في قدرة الباري ـ تعالى ـ في مسألتنا؟ وأنا إن قلت: إنه تعالى قادر على ذلك، ما أقول: إنه تعالى يَخْرِق العادة، ويفعل هذا الآن. فإذا كان كذلك فقد علم الوزير أن هذا فرار من الزحف.

فقال الوزير: هو كما ذكرت.

فقال المنطقي: المناظرة دُرْبَةٌ وتَجْربة، وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم، وهم لا يعرفون مواضَعَاتِنا وعباراتنا، ولا تُحْتَمَلُ المناظرة بين قوم هذا حالهم.

فقال الوزير: قبلنا اعتذارك، والحق أبلج، ثم التفتَ الوزيرُ إلى البلاقاني، وقاله له: سِرْ في رعاية الله[1].

قال القاضي: فخرجت. فدخلنا بلاد الروم حتى وصلنا إلى ملك الرومِ بالقسطنطينية، وأُخبر الملك بقدومنا، فأرسل إلينا من يلقانا، **وقال: لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تَنْزِعوها إلا أن تكون مناديلَ**

---

(١) ترتيب المدارك (٧/٥٨) وعيون المناظرات ص٢٤٥.

لِطَاف، وحتى تَنْزِعوا أَخْفَافكم.

قال القاضي: فقلت: لا أفعل، ولا أدخل إلا على ما أنا عليه من الزِّي واللباس، فإن رضيتم، وإلا فخذوا الكتب تقرؤونها، وترسلون بجوابها، وأعود بها.

فأُخبر بذلك الملك، فقال: أريد معرفة سبب هذا، ووجه امتناعه مما مضى عليه رَسْمِي مع الرسل.

*** فأَجَابَ القاضي عن هذا، فقال: أنا رجلٌ من علماء المسلمين، ما تحبونه منّا ذلٌّ وصَغَار، والله تعالى قد رفعنا بالإسلام، وأعزنا بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام،** وأيضاً، فإنّ من شأنِ الملوك إذا بعثوا رسُلَهم إلى ملك آخر أن يرفعوا أقدارهم، ولا يقصدوا إذلالهم، لا سِيّما إذا كان الرسول من أهلِ العلم، ووضْعُ قدرِه انهدامُ جَاهِهِ عند الله وعند المسلمين، وإن فعلت ما يقولون عَيَّرني المسلمون، وطَعَنُوا في ديني، وسَقَطْتُ من أعينهم، فإن أراد مني الدخول دخلت كما أدخل على الخليفة، وإن كره فليقرأ كتابنا ويَرُدَّ الجواب، ويَرُدَّنَا إلى

صاحبنا، ولا حاجة لنا في اللقاء.

فأُخْبر الملكُ بجوابه، فقال: دعوه يدخل ومن معه كما يشتهون، وعرفَ المَلِكُ منزلةَ هذا الرسول، وما أوتيه من سَعة العلم، وقوة الشكيمة[1]، وحضور البَديْهَة، وأنه مُقَدَّمٍ في المسلمين، ذو شأن عظيم بينهم[2].

وعَلِمَ الملكُ أن القاضي لا يسجد له، كما جَرى رسم الرعية أن تُقَبِّل الأرض بين يَدَيْ ملوكها، فاحتال لكي يوقعَ القاضي في شيء من ذلك، فوضع سريره وراء باب لَطِيف، لا يمكن أن يدخل معه أحد إلا راكعاً، حتى يدخلَ القاضي عليه على تلك الحال، فيكون عوضاً عن سجودهِ وتقبيلِه الأرضِ بين يديه.

---

(١) الشكِيْمَة: قوة القلب، والانتصارُ من الظلم، والشكيمة: الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام. وقولهم: شديد أو قوي الشكيمة، أي: أَنِف أَبيّ.

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٠)، وعيون المناظرات ص٢٤٦.

فلما جلس الملكُ على سريره، أَمَرَ بإدخال القاضي من ذلك الباب، فلما رآه القاضي تَفَكّر، وعلم أن في الأمر حيلة، فأَدَارَ ظهره، وحَنى رأسه راكعاً، ودخل من الباب يمشي إلى خَلفِهِ، مستقبلاً الملك بدبره حتى صار بين يديه، ثم رفع رأسه، ونصب ظهره، ثم أدارَ وجهه إلى الملك حينئذٍ، فعجب الملك من فِطْنَتِهِ، وَوَقَعَتْ له في قلبه هيبةٌ عظيمة[١].

* **قال القاضي: فدخلت عليه بنفيس ثيابي، وعمامتي وطَيْلَسَاني[٢]، فلما وقع بصره عليّ أدناني، ورفعني فوق الكُلّ، وابتدأني بشأن كِسْوتي؟**

---

(١) تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩)، وتبيين كذب المفتري ص٢١٨، وترتيب المدارك (٧/ ٦١، ٦٢)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٠)، والمنتظم (٧/ ٢٦٥)، والأنساب (٢/ ٥١ ـ ٥٢).

(٢) **الطَّيْلَسَان**: ويقال الطالِسَانُ: ضَرْبٌ من الأَوْشِحَة، يُلْبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خالٍ من التفصيل والخياطة، وهو فارسي معرب، جمعه: طيالِس وطَيَالِسَة.

فقلت: بهذا الزِّي ندخل على ملكنا الأعظم جلَّ جَلاله، وندخل على سلطاننا الأكرم الذي أمرنا الله ورسوله بطاعته، فما ينكرون عليَّ هذا، وأنا رجل من علماء المسلمين، فإن دخلت عليك بغير هيئتي، ورجعت إلى حُكْمِكَ ـ أَهَنْتُ العلمَ ونفسي، وذهب من المسلمين جاهي.

فقال الملك لترجمانه: قُلْ له: قد قبلنا عذرك، ورفعت منزلتك، وليس محلُّك عِنْدَنا مِثْلَ مَحَلِّ سائرِ الرسل، وإنما مَحَلُّكَ عندنا محلُ الأبْرَار والأخْيار[1].

قال القاضي: وأديت الرسالة، فقرأ الكتاب، وكان فيه: «وإني قد بعثت إليك لسانَ أهلِّ المِلَّة، تعظيماً لك وتكرمة».

فقال لي: ما معنى هذا الكلام؟

فقلت: إني رجل أتكلم على حدوث العالم، وإثبات مُحْدِثِه، وصفاته الواجبة له، والمستحيلة عليه، والجائزة

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦١).

في أحكامه، وأتكلَّمُ على الوحدانية، وأردُّ على البَرَاهِمَة[١]، والمَنَانِيّة[٢]، والمجوس، واليهود،

(١) البراهمة: طائفة من اليهود، لا يجوزون على الله تعالى بَعْثَ الأنبياء، ويحرمون لحوم الحيوان، وأحدهم برَهْمِي. قال الشهرستاني في الملل (٢/ ٢٥٠): «من الناس من يظن أنهم سُمُّوا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، وذلك خطأ، فإن هؤلاء هم المخصصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً، فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام؟ والقوم الذين اعتقدوا نبوة إبراهيم عليه السلام من أهل الهند فهم الثنوية.. وهؤلاء البراهمة إنما انتسبوا إلى رجلٍ منهم يقال له: براهم».

(٢) المَانَويّة: يقال لهم المنانية، وهم طائفة من الثَّنوية، قال الشهرستاني في الملل (١/ ٤٤): «أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، الذي ظهر في زمان سابو بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام.

حكى محمد بن هارون... وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم: أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين، أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنهما أزليّان لم يزالا، ولن يزالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم... =

والنَّصَارى، وأبينُ صِحَّةَ ما أَدَّعيه من ناحية العقل، وما يتعلق به من السمع والتوقيف، وأبين ذلك كله بالبرهان اللائح، وأردُّ على الاثنتين والسبعين فرقة، وأَنْصرُ حَقِّي (١).

قال الملك: أنا أشتهي أَنْ أَعْرِف ذلك وأسمعه كما ذَكَره عنك.

فقلت: إذا أَذِنَ الملك.

فقال: انزلوا حيث أَعْدَدْتُ لكم، ويكون بعد هذا الاجتماع.

قال القاضي: فَنَهَضْنَا إلى موضع أُعِدّ لَنَا.

قال ابن كثير: ويقال: إن المَلِكَ أَحْضَر بين يديه آلَةَ

= إلخ» ا.هـ. وتبعه خلق عظيم من المجوس، وادّعوا له النبوة.

(١) هذه رواية الإسكافي في عيون المناظرات ص٢٤٧، وهي أتم مما ذكره القاضي عياض في ترتيب المدارك، ومما جاء في رواية الإسكافي أن الملك قال له: يا مسلم، اقعد عندي وأقاسمك في مملكتي، فقال القاضي: كنت أفعل ذلك، غير أني محجوز علي من جهة شرعي.

الطَّرَب المُسَمّاة بالأرْغل[١] ليستفز عقله بها، وهي آلة لا يسمعُها أحدٌ قطُّ إلاّ طَرِبَ شاءَ أم أَبى، فلما سمعها الباقلاني خافَ على نفسه أن يظهرَ منه حركةٌ ناقصة بحضرة الملك، فجعل لا يألو[٢] جهداً أن جَرَح رجله حتى خرج منها الدم الكثير، فاشتغل بالألم عن الطرب، ولم يظهر عليه شيء من النقص والخِفَّة، فعجب الملك من ذلك، ثم إنه اكتشف الأمرَ، فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب، فتحقق المَلِكُ وُفُورَ هِمَّتِه، وعُلُوَّ عَزِيمته[٣].

قال القاضي: فلما كان يوم الأحد، بعث الملك في

(١) في المعجم الوسيط ذكرت آلتان:
إحداهما: **الأرْغُن**: وهي آلة موسيقية نفخية، بها منافيخ جلدية وأنابيب ومفاتيح لتنغيم الصوت.
والثانية: **الأرْغُول**: مزمار ذو قصبتين مُثقَّبَتَين، إحداهما أطول من الأخرى، وجمعه: أراغيل.

(٢) **لا يألو**: لا يقصِّر.

(٣) البداية والنهاية (١١/ ٣٥٠).

طلبي، وقال: من شأن الرسول حضورُ المائدة، فَنُحِبُّ أن تجيب إلى طعامنا، ولا تَنْقُصَ كلَّ رُسُومنا.

فقلت لرسوله: أنا من علماء المسلمين، ولستُ كالرسل من سائر الجند وغيرهم، الذين لا يعرفون ما يجب في هذه المواطن عليهم، والمَلِكُ يعلمُ أن العُلَمَاء لا يُعْذرون أن يدخلوا في هذه الأشياء وهم يعلمون، وأخشى أن يكون على مائدته لحوم الخنازير، وما حرمه الله ورسوله على المسلمين.

فذهب الترجمان، وعاد إليّ، وقال: يقول لك الملك: ليس على مائدتي، ولا في شيء من طعامي، شيء تكرهه، وقد استحسنتُ ما أتيتُ به، وما أنت عندنا كسائر الرسل، بل أعظم، وما كرهتَ من لحوم الخَنَازير إنما هو خارج عن حضرتي بيني وبينه حجاب.

قال القاضي: فمضيت على كلِّ حال، وجَلَسْتُ، وقُدِّمَ الطعام، ومدَدْتُ يدي، وأوهمتُ الأكل، ولم آكل منه شيئاً، على أني لم أَرَ على مائدته ما يُكْره.

فلما فَرَغ من الطعام بَخَّرَ المجلس، وعَطَّر[(١)].

* **ثم قال: هذا الذي تَدَّعونه في معجزاتِ نَبِيِّكُم من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟**

قلت: هو صحيح عندنا، وانشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأى الناسُ ذلك[(٢)]، وإنما رآه الحاضرون ومن اتَّفَق نظرُهُ إليه في تلك الحال.

فقال الملك: وكيف ولم يَرَهُ جميعُ الناس؟

قلت: لأن الناسَ لم يكونوا على أُهْبَةٍ ووعدٍ لشقوقهِ

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٢، ٦٣).

(٢) حديث انشقاق القمر: رواه البخاري (فتح ٦/ ٦٣١) ومسلم (٢٨٠٠، ٢٨٨١، ٢٨٠٢، ٢٨٠٣) عن ابن مسعود وابن عمر وأنس وابن عباس، قال الحافظ ابن حجر: وقد ورد انشقاق القمر أيضاً من حديث علي وحذيفة وجبير بن مطعم وابن عمر وغيرهم. قال ابن كثير في تفسيره (٧/ ٤٤٦): «ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة.. وهذا أمر متفق عليه بين العلماء، أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات». ثم ذكر الروايات عن الصحابة.

وحضوره.

فقال: وهذا القمرُ بينكم وبينه نِسبةٌ أو قَرَابة، لأيِّ شيءٍ لم تعرفه الرومُ وغيرها من سائر الناس؟ وإنما رأيتموه أنتم خاصة، وقد علمتم أنه في السماء غير مختصٍّ بكم!!

فقلت: فهذه المائدة[1] بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوسِ والبراهمة وأهلِ الإلحاد، وخاصةً يونان جيرانكم، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم!!

فَتَحَيَّرَ الملك، وقال في كلامه: سبحان الله.

---

(١) المقصود بالمائدة: هي القصة المذكورة في آخر سورة المائدة، حيث طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يسأل ربه أن ينزلها عليهم، واختُلف في نزولها: فالجمهور على أنها نزلت، واختاره ابن جرير، لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ ووعد الله حق وصدق. قال ابن كثير (٣/ ٢٢٦): «وهذا القول هو ـ والله أعلم ـ الصواب، كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم».

وأمر بإحضار فلان القسيس[1] ليكلمني، وقال الملك: نحن لا نطيقه، لأنّ صاحبه قال: ما في مملكتي مثله، ولا للمسلمين في عصره مثله.

قال القاضي: فلم أَشْعُر إذ جاءوا برجل كالذئب أشْقَر الشعر مُسْبِله، فقعد، وحكيتُ له المسألة.

فقال: الذي قاله المسلم لازمٌ، هو الحق، لا أعرف جواباً إلا ما ذكره.

قال القاضي: فقلت له: ألستَ تزعم أن الأرضَ كُرويّةٌ.

قال: نعم.

قلت: أفتنكر أن يُرَى في هذا الإقليم ما لا يُرى في إقليم آخر، كالكسوف يُرَى في موضع دون موضع،

---

(١) القَسُّ: رئيس من رؤساء النصارى في الدين، وهو الآن في مرتبة بين الأسْقُفّ والشَّمّاس.
ومراتب رجال الدين عند النصارى على هذا النحو: البابا، ثم البَطْرَك، ثم المطران، ثم الأسقف، ثم القسيس، ثم الشَّمّاس.
وقد ذكر هذا الترتيب ابن كثير في تفسيره (٦/ ٣٠٨ط الشعب).

وكواكب السماء تُرى في موضع دون غيره، أم تقول إن الكسوفَ إذا وقع رآه أهلُ الأرضِ كلُّهم.

قال القِسِّيْس: بل لا يراه إلا من كان في محاذاته.

قلت: فما أنكرتَ من انشاق القمر إذا كان في ناحية لا يراه إلا أهلُ تلك الناحية، ومنْ تأهَّب للنظر له، فأمّا من أعرض عنه، ومن كان في الأمكنة التي لا يُرَى القمرُ منها، فلا يراه[(١)].

فقال: هو كما قلت، ما يدفعك عنه دافع، وإنما الكلام في الرواة الذين نقلوه، فأما الطَعْنُ في غير هذا الوجه فليس بصحيح.

فقال الملك: وكيف يُطْعَنُ في النَّقَلة؟

فقال القسيس: شِبْهُ هذا من الآيات إذا صحَّ وَجَبَ أن

---

(١) في رواية السكوني في عيون المناظرات ص٢٤٨: «فلما أقر له بهذا، قال له أصحابه: دعوناك لترد عليه، لا لترد علينا وتنصره، فقال لهم: يجب أن ينصر الإنسان الحق» وختم المجلس بهذا، وما ذكرته من التتمة في ترتيب المدارك.

ينقلَه الجَمُّ الغفير، حتى يتصل بنا العلمُ به، ولو كان كذلك لوقع عندنا العلمُ الضروري به، فلما لم يقع لنا العِلُم الضروري به، دلَّ على أن الخبرَ مفتعلٌ باطل.

فالتفت الملكُ، وقال: هاتِ الجوابَ.

قال القاضي: يلزمه في نزول المائدة ما لزمني في انشقاق القمر، ويقال له: لو كان نزول المائدة صحيحاً لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ولا ثَنَوي(١) إلا وهو يعلم هذا بالضرورة، ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دل على أنَّ الخبر كَذِب، فبُهِتَ النصراني والملك ومن ضمَّه المجلس.

---

(١) الثنوي: المنسوب إلى مذهب الثنوية، وهو مذهب يقول بإلهين اثنين، إله للخير وإله للشر، ويرمز لهما بالنور والظلام، وهما أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه. وهم طوائف: فمنهم المانوية أو المنانية، والمزدكية، والدَّيْصانيّة، والمَرْقَيُونِيّة، والكَيْنوية، والصِّيامِيّة، والتناسخية. انظر: الملل للشهرستاني (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

وانفصل المجلس على هذا(١)

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني: ثم سألني الملك في مجلس ثانٍ.

فقال: ما تقولون في المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام؟

قلت: رُوحُ الله، وكلمته، وعبده، ونبيه، ورسوله، كَمَثَلِ آدمَ خلقه من ترابٍ ثم قال له: كن فيكون، وتلوت عليه النص ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فقال: يا مسلم، تقولون المسيح عبد؟

فقلت: نعم، كذا نقول، وبه ندين.

قال: ولا تقولون إنه ابن الله.

قلت: مَعَاذَ الله ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ... ﴾ [المؤمنون: ٩١] إنكم لتقولون قولاً عظيماً، فإذ جعلتم المسيحَ ابن الله، فمن كان أبوه وأخوه وجَدُّه

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٤ ـ ٦٥).

وعَمُّه وخالُه؟ وعَدَدْتُ عليه الأقارب، فتحيَّر!!

وقال: يا مسلمُ، العبد يخلق، ويحيي، ويميتُ، ويُبْرِئُ الأكْمَه(١) والأبْرصَ؟

قلت: لا يقدر على ذلك، وإنما ذلك كله من فعل الله تعالى.

قال: وكيف يكون المسيحُ عبداً لله، وخلقاً من خلقه، وقد أتى بهذه الآيات، وفعل ذلك كلَّه؟

قلت: مَعَاذَ الله! ما أحيا المسيحُ الموتى، ولا أَبرأَ الأكمه والأبرص.

فتحيَّرَ المَلِكُ، وقلَّ صَبْرُه.

وقال: يا مسلمُ، تنكر هذا مع اشتهاره في الخلق، وأَخْذِ الناس له بالقبول؟

قلت: ما قالَ أحدٌ من أهل الفقهِ والمعرفة أَنّ الأنبياء يفعلون المعجزات من ذاتهم، وإنما هو شيء يفعله الله ـ

(١) الأكمه: الأعمى أو الذي يولد أعمى. يقال: كَمِهَ الرجل: عمي أو صار أعشى. والمرأة كمهاء.

تعالى - على أيديهم تصديقاً لهم، يجري مَجْرى الشهادة.

قال الملكُ: قد حضر عند جماعةٍ من أولادِ نبيكم، والمشهورين فيكم، وقالوا: إن ذلك في كتابكم.

قلت: أَيُّها الملك، في كتابنا أنّ ذلك كلَّه كان بإذن الله تعالى. وتَلَوْت عليه من نصوص القرآنِ في المسيح:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [المائدة: ١١٠].

وقوله: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ

فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقُلْتُ: إنما فعلَ المسيحُ ذلك كلَّه بإذن الله وحده لا شريك له، لا من ذات المسيح، ولو كان المسيحُ يحيي الموتى، ويبرئ الأكْمَه والأبرص من ذاتِه وقُوَّتِه لجاز أن يقال: إن موسى فَلَق البحر، وأخرج يده بيضاء من غير سوءٍ من ذاته، وليست مُعْجِزاتُ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أفعالهم دون إرادة الخالق، فلما لم يَجُزْ هذا لم يَجُزْ أن تُسْنَدَ المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه(١).

ثم قال الملك: سائرُ الأنبياء كلهم ـ من آدم إلى من بعده ـ كانوا يَتَضَرَّعُون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون.

قلت: أفي لِسَانِ اليهودِ عَظْمٌ لا يقدرون أن يقولوا: إن المسيح كان يَتَضَرَّعُ إلى موسى، وكلُّ صاحب نبي يقول:

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٥، ٦٦).

إن المسيح كان يتضرع إلى نبيه، فلا فرق في الموضِعين في الدعوى[١].

ثم سأل أحدُ أساقفتهم[٢] القاضي فقال: ما فعلت زوجةُ نبيكم؟ وما كانَ من أمرها بما رُميت به من الإفْك؟.

فقال القاضي ـ مجيباً على البديهة: هما امرأتان ذُكرتا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عز وجل، وكانت عائشةُ ذاتَ زَوج ولم تأتِ بولد، وأتت مريمُ بولد ولم يكن لها زوج.

يعني: أنَّ عائشة أولى بالبراءَة من مريم، وكلاهما بريئةٌ مما قيل فيها، فإن تطرَّق في الذهن الفاسدِ احتمالُ ريبة في هذا، فهو إلى تلك أسرع، وهما ـ بحمد الله ـ

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٦)، وفي بعض الروايات أنه قال في أول الجواب: «إنه في لسان اليهود عظيم».
(٢) الأسْقُفُ: لقب ديني لأحبار النصارى، فوق القسيس ودون المطران.

مُنَزَّهَتان مُبَرَّأَتان في السماءِ بوحي الله عز وجل، عليهما السلام[١].

قال القاضي: ثم تكلَّمْنَا في مجلس ثالث.

فقلت للملك: لِمَ اتَّحَدَ اللاهوتُ بالناسوتِ؟[٢]

قال الملك: أراد أن ينجي الناسَ من الهلاك.

قلت: وهل دَرَى بأنه يُقْتَلُ ويُصَلبُ ويُفعل به ذلك؟

فإن قلت: إنه لم يَدْرِ ما أراد اليهود به، بَطَل أن يكون إلهاً، وإذا بَطَل أن يكون إلهاً بطل أن يكون ابناً.

وإن قلت: إنه درى، ودخل في هذا الأمر على بصيرة، فليس بحكيم؛ لأن الحكمةَ تمنع من التعرض للبلاء.

---

(١) تبيين كذب المفتري ص٢١٩، وعيون المناظرات ص٢٤٩، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٢)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٠) وهذا لفظه.

(٢) الناسوت: الطبيعة البشرية، ويقابله اللاهوت: بمعنى الألوهية. فالنصارى يزعمون كذباً أن المسيح الإله ظهر للناس بصورة بشرية، وقد تمازجت فيه الطبيعتان: الإلهية والبشرية.

فَبُهِتَ الملكُ وتَحَيّر، وكان آخَرَ مجلس لي معه(١).

ثم إنَّ الملك وَعدَ القاضي أبا بكر الاجتماع معه في مَحْفَلٍ من مَحَافِلِ النّصرانية ليوم سَمّاه، فحضر أبو بكر الباقلاني، وقد احتفل المجلسُ وبُولِغَ في زينته، فأدناه الملكُ وألطفَ سؤاله، وأجلسه على كرسي دون سريره بقليل، والملكُ في أُبَّهَتِه(٢) وخاصَّتِه، عليه التاجُ والدُّرِّية، ورجالُ مَمْلكتِه على مراتبهم.

فبينما هم على ذلك إذا جاء البَطْرَك(٣) ـ قَيِّم ديانتهم ـ وقد أَوْعَزَ إليه المَلكُ بالتحفظ من هذا الداهية، وقال له: تحفَّظ منه، وأحضِر ذهنَك، فلعلك تتعلق منه بسقطةٍ، أو تعثر منه على زلّه تقضي بفضلنا عليه.

فجاء البَطْرك في آخر الناس، حوله أتباعه يتلون

---

(١) ترتيب المدارك (٧/ ٦٧).

(٢) الأبَّهَةُ: العظمة.

(٣) البَطْرَك: مقدم النصارى، ورئيس رؤساء الأساقفة. وجمعه بَطَارك، وبَطاركة.

الأناجيل ويبخرونَ بعُود رَطْبٍ وميعة مريم، في زيٍّ حسن، فلما توسط المجلسَ قامِ الملك ورجاله تعظيماً له، فقضوا حقَّه، ومسحوا أطرافَه، وأجلسَه الملك إلى جنبه، وأقبل على القاضي أبي بكر، **فقال**: يا فقيه، هذا البَطْرَك، قَيِّمُ الديانة، وولي النحلة.

فسلم القاضي عليه أَحْفَلَ سلامٍ، وسأله أَحْفَل سؤال، **وقال له**: كيف الأهل والولد؟

فَعَظُمَ قوله هذا عليه، وعلى جميعهم، وتَغَيَّرُوا له، وصَلَبُوا وجُوهَهَم، وأنكروا قولَ أبي بكر عليه.

فقال القاضي: وما أنكرتم من كلامي؟!.

فقال الملك: إننا نُنَزِّه هؤلاء عن الصاحبة والولد.

فقال القاضي: يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذَ الصاحبةِ والوَلَد، وتربؤون به عن ذلك، ولا تستعظمونه لربكم - عزَّ وجهه - فتضيفون ذلك إليه؟! سَوْأَةً لهذا الرأي، ما أبينَ غَلَطَه.

فسُقِطَ في أيديهم، وبُهِتوا، وانكسروا، ولم يُحِيْرُوا

جواباً، وتداخلتهم له هيبة عظيمة[١].

ثم إن الملك قال للبَطْرَك: ما ترى في أمر هذا الشيطان؟

قال البَطْرك: تَقْضي حاجته، وتلاطف صاحِبَه، وتبعث بالهدايا إليه، وتخرج هذا العِرَاقِيّ عن بلدك من يومِك ـ إن قَدرْتَ ـ وإلاّ لم آمن الفِتْنَةَ به على النصرانية.

ففعل الملك ذلك، وأحسن جوابَ عضدِ الدولة وهداياه وعَجّلَ تسريحَ القاضي أبي بكر، وبعث معه عِدّةً من أسارى المسلمين والمصاحف، ووكل بالقاضي من جنده من يحفَظُه حتى يصلَ إلى مَأْمَنِه[٢].

تمت بحمد الله تعالى

هذا آخر ما وجد من أخبار هذه المناظرة العجيبة

---

(١) تبيين كذب المفتري ص٢١٨، ٢١٩، وترتيب المدارك (٧/ ٦٧، ٦٨)، وعيون المناظرات ص٢٤٨، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩١).

(٢) ترتيب المدارك (٧/ ٦٨).

الفهرس

الموضوع الصفحة

المقدمة ٥
ترجمة مختصرة للإمام الباقلاني ١٠
ترجمة عضد الدولة البويهي ١٦
سبب المناظرة ١٩
المناظرة ٢٢
الفهرس ٤٨

توزيع
مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان
الرياض : ١١٤٣١ - ص ب : ١٤٠٥
الرياض : ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس : ٤٠٢٣٠٧٦ - جدة : ٦٥٤٩٣٢١
الدمام : ٨٤١٦٠٦٤ - المدينة : ٨٤٠١٦٩٣ - القصيم : ٣٦٤٤٣٦٦